بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة - 4 -

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا ومولانا وقرّة أعيننا محمّد المصطفى الأمين، وآله وصحبه أجمعين، وأحيّيكم مرّة أخرى جميعاً بتحيّة الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ذكرت في المشورة السابقة أنّ المرحلة الثانية -طبعاً هذه المراحل هي مجرّد بيان لما في قلبي من حقائق يؤمن بها ويدعو إليها؛ فتحتاج إلى هذه التقسيمات، وهي ليست ملزمة، فلا يأتي أحد ويقول: إنّ سيرة الرسول الأعظم -صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم- لابدّ من تقسيمها إلى هذه المراحل، لا، لأنّ هناك مراحل أخرى، أنا الآن لا أرى نفسي أهلاً للحديث عنها.

ومن جانب آخر لا أرى الحاجة الماسّة للحديث عنها، وإنّما نركّز على هذه المراحل لأنّنا في وضع نحتاج إلى هدايات هذه المراحل أكثر من احتياجنا إلى هدايات لمراحل أخرى، فهذه ليست ملزمة، هي مجرّد مشورة.

فالمرحلة الثانية المعادَلة بدأت تختلف، النِّسَب تختلف، وليس معناه أنّه -صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم- لا يحتاج يد القدرة الإلهية، لا -نعوذ بالله تبارك وتعالى- من هذا، لا أقول هذا، ولا أنّه لا يحتاج إلى صفات الرجولة والذكورة، إلى آخره من الشهامة والشجاعة، وإنّما النِّسب تختلف حسب مقتضيات المرحلة، لماذا أحبّتي؟ لأنّه حتى نفهم نحن ما الذي نحتاجه في كلّ مرحلة؟ وكيف نُعِدُّ دعاةً إلى الله عزّ وجلّ، بمعنى: إذا فاتَتْنا الفرصة مثلاً:

كَبِرْنا في السـنّ -وإنْ كان هذا ليس عذراً، ولكن نوعاً ما- فعلى الأقل ننوي أنْ نستخرج ممّا مكّننا الله جلّ في علاه فيه دعاة، من ذريّاتنا، من ذوي أرحامنا، من طلبتنا بالنسبة للذين يدرسون في الجامعات، بالنسبة للذين لديهم حلقات في المساجد، بمعنى: في أيّ فرصة من الفرص إذا مكّننا الله جلّ وعلا فيها من أناس يُمْكِننا أنْ نعدّهم دعاة على ضوء هذه المعالم، على ضوء هدايات هذه المراحل، نحنُ دائماً بحاجة -خاصة في هذه المرحلة- إلى إعداد الدعاة، وإعداد الدعاة لا يكون إلا من خلال تهيئة الداعي أوّلاً، وتربيته على الخير، ثمّ توجيهه إلى طريق الحقّ، والصادق والمؤثّر في نقل هذا الخير الذي أصابه إلى الغَيْر، فنحن بحاجة إلى هذه، فالمعالم هذه تنفعنا، فعندما تختار مثلا عشرة شباب، فليس من الضروري أنْ يصبحوا كلّهم علماء، إنّما تُمَيِّز وتأخذ مَنْ عنده فطنة وذكاء وقوّة حافظة، فتوجّهه إلى حفظ بعض النصوص، حفظ بعض سور القرآن الكريم، تعمل له حلقات في العلوم الشرعية، في الفقه، وفي أصول الفقه ... إلخ، شاب آخر تراه ليس عنده رغبة في هذه العلوم الإنسانية وإنّما في الجانب التطبيقي، في العلوم التطبيقية، ولكن عنده ذكاء، تشجّعه لأنْ يكون طبيباً، ولكن أنت تزوّده بالتقوى، تزوّده بالتعلّق بالقرآن الكريم، ولو بحفظ بعض المقاطع منه، وبعض الأحاديث الشريفة من سنّة حضرة النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، ولكن تؤكّد عليه في الجانب التطبيقي دائمًا في هذه النصوص، وتدفعه إلى أنْ يكون طبيباً مثلاً، فالآن من بعض أحبتنا أطبّاء -حفظهم الله تعالى- كم نفعوا البشرية جزاهم الله سبحانه خيراً؟ ربّما الآن في هذا الظرف بعد الدعاة إلى الله جلّ ذكره تأتي مرتبة الأطباء في الرّقي والسموّ، وإبراز قيمهم وثمنهم في المجتمع، وكثير من الأشياء التي كان

المجتمع ينظَرُ إليها على أنّها نجوم، وعلى أنّهم أبطال، وأنّهم هم الرجال الرجال، والنّساء المطلوبات وإلى آخره، فهؤلاء كلّهم سقطوا، فالمجتمع ليس بحاجة إليهم، فربّما بعضهم كان في الحضيض من البداية، ولكن في نظر بعض النّاس -مع الأسف- هم كانوا أُوّلًا، لكنِ الآن صاروا في أدنى مستوى.

فالمقصود عندما نأتي إلى تقسيم هذه الفترات إلى المراحل لكي نعرف كيف نتحرّك بالدعوة إلى الله عزّ شأنه، وكذلك كيف نتحّرك بعلاج أنفسنا.

إذن المرحلة الثانية، انتقلتْ النسبة العُليا في الجانب الروحاني إلى المجاهدة والمكابدة، فسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، بدأ هو يجاهد ويتحمّل في القيام بعمل روحيّ، ما هو هذا العمل؟ التحنّث، الخلوة، الانقطاع عن المجتمع لفترة على الأقلّ، وإنْ كان هذا المجتمع في بعض جوانبه يحقّق كلّ ما يحتاج إليه الإنسان كإنسان: يحتاج الزوجة الرؤوم العطوف، السَّكَن، التي تمثّل المودّة والرحمة، ومع وجود هذه الزوجة عنده صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، لكنّه لم يبق عندها في البيت.

طيّب كلّ إنسان فطرةً يحتاج إلى المال، وإلى أنْ يتمتع بأمواله، وسيّدنا رسول الله عليه صلاة الله جلّ وعلا وسلامه وآله وأصحابه، أغناه الله سبحانه كما هو معروف ومشهور، ولا تغيب هذه الحقيقة عن علومكم الشريفة، أنّ الله جلّ جلاله أغناه بمال السيّدة خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها، إذن إذا كان عنده أموال، وزوجة ممتازة، فلِمَ يذهب ويجلس في كهف؟ ذاك لأنّ النِّسَبَ بدأتْ تختلف، الذي سيصبح داعياً إلى الله عزّ وجلّ لا يكون وجود الزوجة،

ووجود المال، ووجود الرّاحة في حياته هو المقصد الأسنى، فإذا صار هكذا فهذا خرم في شخصية الإنسان، كإنسان له روح وجسد، له عقل يتفكّر ويتأمّل.

إذن النسبة الروحانية بدأتْ تزداد، وإنْ كانتْ هذه النسبة تؤدي إلى مخاطر، وتؤدي إلى الامتناع عن بعض المشتَهيات، والابتعاد عنها، فليس سهلًا أنْ يكون عندك هكذا زوجة رضي الله تعالى عنها، بذلتْ كلّ أموالها، بذلتْ كلّ أنوثتها، بذلتْ كلّ عاطفتها، أنْ تتركها وتذهب إلى الغار الليالي ذوات العدد، ليس ساعة أو ساعتين، أو ليلة أو ليلتين، الليالي ذوات العدد، في بعض الروايات كما ورد أنّ الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه أهل الجود والكرم، بيّن أنّه بقي شهراً في غار حراء، شهراً كاملاً.

وعندي أنّه مكث أكثر من شهر، لأنّ الوضع العام والحال الذي فهمتُه من حياته الشريفة في هذه المرحلة الحدّ الأدنى كان شهراً، ولكن زاد على ذلك، فقد ورد أنّه مكث شهراً، والليالي ذوات العدد، وأنّ هذه الليالي في بعض الروايات أكثر من شهر، فللتوفيق بينهما أقول: الحد الأدنى كان شهراً، والحد الأعلى والله جلّ وعلا أعلم ربّما كان أربعين ليلة، لأنّ الشهر هنا يتوافق مع حال سيّدنا موسى عليه الصلاة والتسليم، في البداية، ربُّ العالمين جلّ جلاله قال:-

{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً...} [سورة الأعراف: 142].

بعد ذلك:-

{... وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ...} [سورة الأعراف: 142].

تحديد العدد ليس مهمّا جداً، ولكن المهمّ أنْ نعلم أنّ هنالك مجاهدة، أنّ المَعلم الرّوحاني في شخصية الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه

بدأتْ نسبته تعلو في هذه المرحلة بفعل الله عزّ شأنه ثمّ بمجاهدة سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم.

هذا كلّه كلام مكرّر، لماذا أكرّره؟ التكرار فيه منفعة إنْ شاء الله تعالى، والإعادة فيها إفادة، كلّنا محتاجون أنتَ يا سعد الله أوّل الناس تحتاج مجاهدة نفسك، أنْ تتحمل مشاقّ المجاهدة أكثر وأكثر، وخاصّة في هذا الوقت، فهو ضروريّ جداً يا سعد الله.

وهذا لا يمنع من أنْ يقوم الإنسان بواجباته الفطرية التي يحتاج إليها في الحياة الدنيوية؛ فلذلك مثلاً الرسول الأعظم عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، كان يقطع هذه الخلوة، ويذهب ليتزوّد لمثلها مرّة أخرى، أيْ لليال ذوات عدد أخرى؛ إذنْ الزّاد هنا حاجة إنسانية.

وما يشاع أحياناً في بعض القصص التي أخذها بعض النّاس على أنّها دَرْوَشَانِيّة، وسامحوني على هذا القول فليس المقصود منه الانتقاص من الدروشة، أو الانتقاص من الدراويش، ولكن الغالب في عُرف النّاس الآن أنّ الدروشة هي عبارة عن أمور مبهمة، وطلاسم، وأشياء غير مفهومة...، طبعاً ما عندنا هذا الشيء، فنحن والحمد لله جلّ في علاه على المحجّة البيضاء، تَرَكَنَا سيّدُ الأنبياء عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الأتقياء، وكلّما أصاب هذه المحجّة البيضاء نوعٌ من الضبابية بفعل ابتعاد البشرية عنها جاء مَنْ يجدّدها، فمثلا عندي، أنا مقتنع مئة بالمئة أنْ سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، مِنْ مجدّدي هذا العصر، فكتَبَ "معالم الطريق" فبيّن لكَ المعالم بيانًا واضحًا، أعادك مرّة أخرى إلى المحجة البيضاء، فما هو

عملنا؟ عملنا النشـر فقط لهذه المعالم، وتوضـيح ما يحتاج إلى توضـيح لبعض العقول التي تحتاج إلى هذا البيان.

إذن نقول مرّة أخرى: نحتاج إلى أنْ نجاهد أنفســنا؛ لأجل أنْ نُعلّي نســبة الروحانية في مجاهداتنا، لكن لا ننسى أيضاً حاجاتنا الفطرية الإنسانية البشرية في بناء الحضـارة الإنسـانية، فسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصـــحبه ومَنْ والاه، مع أنّه كان مختليًا منقطعًا، لم يقل ســـأبقَى هنا وأنتم أحضـــروا لي ما أحتاج؛ لا، لكي يشـــرّع لنا بأنّ المعلم الثاني الذي هو: مَعْلم الرجولة والشـــهامة والقيام بمقتضـــيات الحياة واحتياجات الحياة، لا تزال هذه الحاجات قائمة، ولا يزال هذا المعلم ضـــروريًا، لكنّ نســبته تقلّ، بمعنى: الأيّام التي قضـــاها في الغار، كان متفرغاً من مشـــاغل الحياة بالتأكيد؛ لأنّ غيره يقوم بها، بينما لمّا كان راعيًا في المرحلة الأولى - والله تعالى أعلم - كان كلّ يوم يخرج إلى العمل، إلّا اللهمّ إذا منعه مرض، أو تعب شـــديد، أو منعته الأنواء الجوية، أمّا وظيفته فهي يومية، إذنْ النسبة اختلفت.

قلنا لمّا بدأ الحبيب عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه أهل الفضل والطيب، بهذه المجاهدة عشِـــقَ هذه الخلوة؛ لدرجة أنّه عندما يذهب لحاجاته في البيت لا يتأخّر كثيرًا؛ لأنّه صـار عنده تعلّق بالخلوة، بدأت روحانيته الشريفة تتفاعل مع الجانب الغيبي الذي جسّـده ما ذكرناه في البداية، جسّـده المنام الصـادق، ثمّ بعد ذلك هذا التعلّق بالخلوة.

أحد الصـالحين رضـي الله تعالى عنهم وعنكم يقول: جاهدتُ نفسـي عشـرين ســنة على صـــلاة التهجّد، الآن أحببتها وتذوّقتها! عشـــرون عامًا من المجاهدة

والمكابدة، يرى في صلاة التهجّد تكليفًا على نفسه، لكنّه صبر، وصبر، إلى أنْ انقلبت هذه العبادة العظيمة من صفة الكِلْفَة إلى صفة النّعمة، إلى صفة الرحمة، فكان لا يقرّ له قرار إذا لم يصلّ صلاة التهجّد، لا يُحسّ بطعم الحياة من دون تهجّد في تلك الليلة.

وهكذا فسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، بدأت إشراقاته تزداد أكثر فأكثر، تأمّله يزداد أكثر فأكثر، فنور على نور، نور على جبل النور في غار حراء، من التحرّي، والكلمة (حِراء) لها معانٍ أخرى، ولكنّي أحاول أنْ أركّز على المعاني التي تنفعنا.

"التحرّي" فأنت الآن يا سعد الله تعيش في وقت فيه أمراض كثيرة جداً - نسأل الله تعالى العافية- سواء كانت جسدية أو روحية، والداعي إلى الله عزّ وجلّ المفروض يُعنى أوّلًا بالرّوحية وإنْ كانت الأمراض الجسدية لا تقلّ فتكًا في روحانية الإنسان مِنْ مرض روحه، ومرض قلبه -نعوذ بالله سبحانه- لذلك قال الحكماء:- العقل السليم في الجسم السليم، أنت تعيش في هذا الزمان، فما هو واجبك؟ هذا سؤال كبير؟ وحقيقة يحتاج إلى جواب، واجبك أنْ تنشط، واجبك أنْ تنهض؛ لأجل أنْ تُسعف الأمّة، أنْ تنقذ الأمّة قدر المستطاع، وإذا حَقَّقتَ نتائج فوق المستطاع فهذا تميّز، هذا توفيق من الله جلّ في علاه.

إذن هذه المرحلة -الثانية- نحتاجها في زماننا أكثر من المرحلة الأولى، فيجب علينا أنْ نجاهد أنفسنا بقدر أكبر، بالالتزام بالأوراد، بالأخذ بأسباب الترقية، بالخلوة، الخلوة وسيلة من وسائل التزكية النبوية الشريفة -كما تعلمون- في التأمّل.

فمثلاً: الآن هذا الوباء موجود على الكرة الأرضـية، وفيه أشـياء إيجابية، وأشـياء سـلبية، حتّى الأشـياء الإيجابية مع الأسـف كثير من المسـلمين، ومَنْ يُنسـب إلى العلم -حسـب ما اطلعت ولم أطلع على الكلّ، وإنّما بعض المقاطع وبعض الكتابات- حتى بعض المنتسـبين إلى العلم جعلوا في الجوانب الإيجابية -مع الأسـف- أشـياء مكدّرة لخاطر الداعي إلى الله عزّ وجلّ، الداعي الصـادق، الداعي الفطن، الداعي الفِهِم، فيخرج لك أحد ممّنْ ينسـب إلى العلم ويريك أذانًا في ألمانيا، أو أذاناً النرويج، أو غيرها، وبعد ذلك يعلّق ويقول: انظروا، رغمًا عنكم!

لماذا رغمًا عنكم؟ لمَ لا تقول: الحمد لله ربّ العالمين، هؤلاء مسـاكين هداهم الله جلّ جلاله لِمَا فيه الخير، انظروا فإنّ هذا هو النداء الذي يؤدي إلى الطمأنينة والسكينة والراحة.

وتعالوا يا أبناء المسلمين وبنات المسلمات أجروا دراسات على الأصوات التي تؤدي إلى الراحة الطمأنينة، لماذا تتركونها لغيركم، والآن العلم مشـاع، لا يوجد اختصـاص شـيء معين على شـركة معينة، ولا أحد عنده هذا الشـيء، وأضـرب لكم مثلا أحبّتي: شـركة مرسـيدس قبل هذه العولمة، وقبل أنْ يكون العلم مشاعًا، كانت هذه الشركة لها خصوصيتها، لا أحد يستطيع أنْ يخترقها، ولها أشـياء تصـنعها لا أحد غيرها يسـتطيع تطبيقها، فالمصـنوع يظهر إلى السوق ويُستخدم، بعد ذلك الشركات الأخرى تكتشف ما هي الميّزات المستحدثة في هذا المنتج، وفي السـنة القادمة تطبقها في منتجاتها، أمّا الآن فلا يوجد هذا الشـيء، فالآن كلّ الشـركات حتّى الكوريّة والصـينيّة، بدأت تكتشـف ما هي

المميزات الموجودة في المرسيدس، والبي أم دبليو، وغيرها من السيّارات الفارهة، أو السيارات المشهورة، وربّما صنعت أشياء مقاربة لهذه الأنواع، وربّما أصبحت معها كتفًا بكتف.

لا شيء مستور بعد اليوم، قديمًا كان العالِمُ يستنبط شيئًا من نصّ ما، ويكتبه في كتاب، وإذا وقع هذا الكتاب في يد إنسان يقرأ هذه المعلومة المستنبطة، الآن كلّ هذا موجود على مواقع في الإنترنت ووسائل التواصل، فلا يوجد اختصاص دقيق -إنْ صحّ التعبير- في هذه المجالات، كلّها أصبحتْ مشهورة، فأيُّ طالب من طلبتنا، وأيّ ابن من أبنائنا، وأي بنت من بناتنا - حفظهم الله تعالى جميعا- إنْ كان عنده تطلّع، وعنده مربٍّ ومرشد، وأنا بما ابتلاني الله تبارك اسمه بهذا- أوجّه نداءً إلى أبنائنا وبناتنا وشبابنا من الآن وأقول لهم:- إنّه لابُدّ أنْ يكون عندهم توجّه، فهم أهل العلم والفضل، ليُجروا دراسات على الأصوات، أيّ صوت يؤدي إلى الراحة والسكينة والاستقرار والطمأنينة، حتّى يؤدّي إلى العافية في الأجساد؟ وأيّ الأصوات تؤدّي إلى العكس؟ وقدّموها إلى هؤلاء النّاس المحتاجين لهذا النور، لِمَ نضحك عليهم على أنّهم بدأوا يتأثرون بالأذان؟! لماذا لا نقول لهم:- بارك الله بكم، الآن بدأتم الخطوة الصحيحة. يا إخواننا في البشرية، على الأقل، فهم إخواننا في البشرية، لا أنْ آتي بمقطع أتهكّم بهم، لا يا أخي يا مَنْ تُنسب إلى العلم، والله إنّي أرى في هذا ضربة لأمثالك من الله تعالى، المفروض أنْ تفهم تقصيرك، وتقول: إنّ الله عزّ وجلّ استبدلني، وقال: اذهب فلا عمل لك بعد الآن، فأنتَ لا تؤثّر، وغير صادق، وسأجعل ديني ينتشر بأمري أنا، بما لا تعلم، فلا نتهكّم يا إخوتي، فأين قول الله سبحانه:-

{... وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...} [سورة البقرة: 143].

على الأقل أعطي لكلّ شيء قيمته وآثاره ونتائجه الصحيحة.

إذن نحتاج إلى تقوية الرّوحانية، لماذا؟ لأنّ الذي تكون روحانيته قويّة سوف تعلو همّته في نقل الخير إلى الغير، في إنقاذ الغير.

مرّة أحد الأحبة -جزاه الله تعالى خيراً- بعث لي مقطعًا عن شركة في دولة أجنبية، هذه الشركة تقوم بخدمة أموات المسلمين، فأرسل لي فيه أنّ الشركة عجزت عن استقبال الوفَيات، فالمقطع متكوّن من جثث يستقبلها في الثلاجة الموجودة عندهم، وبعد ذلك تطوّر وبنى طابقًا ثانيًا، وطابقًا ثالثًا، وهذه الطوابق ليس فيها ثلاجات، بل هي طوابق مبرّدة؛ لكثرة الموتى، وقسم منهم صور لنساء مسلمات متوفيات، وكما تعرفون لا أحد يقترب منها، الشرطة يأتون بها، أو يتصلون على الشركة لكي تأخذهم من بيوتهم وتدفنهم في مقابر المسلمين، يرتدين ملابس تدلّ على أنّها لم تفهم شيئاً من حياتها، رحمهم الله تعالى جميعًا، ربما لأنّهم لا يعرفون، فإذا كان هؤلاء المسلمين لا يعرفون؟ فكيف بغيرهم، ومَنْ يتحمّل مسؤوليتهم يا سعد الله؟ مَنْ يتحمّل مسؤوليتهم؟

إذن نحن بحاجة إلى أنْ نعرف واجبنا، ما هي تقواك في هذا الوقت؟ ليس من تقواك أنْ تضحك على النّاس برفع الأذان، هذه ليست تقوى، قل له: يا أخي الكريم في الإنسانية نحن في القرآن الكريم -وإذا تسمح لي أنْ أنقل لك هذه المعلومة- وتأتيهم بهذه الطريقة: يا حكومة النرويج، أو يا حكومة ألمانيا مثلاً، طبعًا إذا كنت ممَّنْ يستطيع أنْ يوصل صوته، قل لهم: إذا تسمحون لي، نحن عندنا معلومة في القرآن الكريم أنّ الله تعالى سوف يُظهر هذا الدين، كيف

يظهره؟ المفروض نحن نظهره، لأنّه واجبنا، نحن الآن هذا واجبنا يا حكومات هذه الدول، ولكنّا قصّرنا، نعرف معرفة حقيقية أنّ الله عزّ وجلّ وعدَ بأنْ يظهر هذا الدّين، حتّى لو كان هناك مَنْ يكره ظهوره، لكن كيف يظهر؟ في توجيهاتنا الشرعية المفروض أنْ نقوم نحن بإنقاذكم، بإسعادكم، بخدمتكم، قُلْها، لا تتكبّر، قل: أنا خادم لك يا أخي الإنسان، قلها يا أخي الكريم، قُلْها يا مَنْ جعلتَ نفسك في موضع الدّاعي إلى الله عزَّ وجلَّ، لكن قصّرتُ في واجبي هذا، وربّ العالمين جلّ جلاله أراد أنْ يُثبِت لكم أنّ خبره صادق، فجعلكم تصدرون قرارًا برفع الحجْر عن الأذان في السماعات الخارجية في دولكم.

هكذا يُفترض أنْ يكون الخطاب الدعوي الذي نقوم به، لا أنْ تقول: رغم أنفكم، أو أنْ تضحك عليهم، رغم أنفكم اسم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، رُفع في بلدانكم، فهذه ليست دعوة إلى الله سبحانه، هذا إشباع لوسوسة النّفس الأمّارة بالسوء، وهذا اتباع لوسوسة الشياطين -نعوذ بالله تبارك وتعالى- لأجل إثارة الفتنة، وإضاعة الفرصة على مَنْ يريد الله عزّ شأنه أنْ يهديه؛ فسيقول لك: أنتم تضحكون علينا! إذن كما تضحكون علينا نضحك عليكم، ونرسل صواريخنا لنقتلكم، وفيروسات لنمرضكم ونقتلكم، فإلى أين سنصل في هذه الحالة؟! فقط قتل بقتل، هل هذا هو الهدف؟ هل هذه هي الغاية من وجودك في الإسلام؟!

في أحد المرات قال لي أحدهم في بداية مشاكل بغداد، عندما بدأوا يفجرون الخمّارات في بغداد، قال: اسمح لي أنْ أفعل هذا، فقلت له: يا بني، ما الفائدة إنْ فعلت ذلك؟ قال: هذا نهي عن المنكر، قلت له: وإلى ماذا يؤدي فعلك؟ هل

درســـت إلى ماذا يؤدّي؟ قلت له: يوجد في بداية حيّ العدل محلّ يبيع خمورًا، فإذا ذهبت ووضعت قنبلة أمامه، وبجانبه مباشرة أو قريب منه فُرن الصادق، ونحن واقفون في طابور لشـــراء الصـــمون لأطفالنا، وأنت وضـــعت قنبلة، وانفجرت القنبلة، ومات مَنْ مات فيها، فما هو مصـيرك عند الله سـبحانه؟ هذا احتمال، والاحتمال الآخر أنْ يضـــعوك في الســـجن، فما الفائدة منك وأنت في السجن؟ وهذا المحل غدًا يهيئونه مرّة أخرى، ويضعون عليه حراسة، أو رقابة.

فأنا لا أقول لك: لا تَنْهَ عن المنكر، أو لا تأمر بالمعروف، لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ضوابط، ففي وقتها -سبحان الله- حدثت مشكلة الجزائر، ومئات المسـلمين زُجّوا في السـجون، ومئات منهم قُتلوا، وشُـرّدوا بســـبب الحرب الأهلية، ففي النهاية قلت له: يا ولدي، لا أريد أنْ تجعل بغداد جزائر ثانية، بعد ذلك ذكرت له حديث حضرة النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصـــحبه الكرام، في أيّهم أولى عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محاولة إنقاذ النّاس من عذاب الله تعالى أم محاولة قتلهم؟ قال: هؤلاء أشـــرار لابُدّ أنْ نقتلهم، فذكرتُ له ما رواه سيّدنا أنس رضي الله تعالى عنه قال:-

(إِنَّ غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَـــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ) الإمام أحمد رحمه الفرد الصمد جلّ ثناؤه.

لا إله إلا الله، ما معنى ذلك؟ يعني: أنّ هذه النّفس تمّ إنقاذها من النّار.

إذن رسالة الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، هي إنقاذ النّاس من النّار، وليس إدخال النّاس إلى النّار، فأنت لا تملك شيئاً تأمر به بالمعروف وتنهى عن المنكر سوى أنْ تقتل وتفجّر! وبعد أنْ وجد هذه التوجّه آذانًا صاغية، مع الأسف صار الذين يقولون (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله) يدخلون إلى المساجد، ويفجرون أهلها ويهدمون بِنائها!

إذن فواجبك في كلّ وقت هو أنْ تُخرج النّاس من الظلمات إلى النّور، أنْ تحفظهم وتحافظ عليهم من السقوط في النّار، فماذا تحتاج؟ تحتاج أنْ تتأمّل في سيرة الحبيب عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، وتفهمها.

فهذه المرحلة أحبّتي في الله تعالى من أبرز معالمها:-

زيادة نسبة الجانب الروحاني بفعلٍ من المكلّف نفسه، وبمجاهدةٍ من المكلّف نفسه، بما استودع الله عزّ وجلّ في الفطرة السليمة لسيّدنا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، من دواعي الفطرة أنّ هذا القلب الزّكي حتى قبل تلقي الوحي لا يستطيع أنْ يتأقلم مع ما هو موجود في المجتمع من ضّلال وكفر، دون أنْ يمدّ يد العون والمساعدة لإنقاذ المجتمع، ولكن كيف؟ فيحتاج إلى التأمّل، والتأمّل عبادة عظيمة جداً، والصمت عبادة عظيمة جداً، أنتم مشايخ يا أحبابي، فاذهبوا واقرأوا نصوص الصمت، لنقرأ مثلا قوله تقدّست أسماؤه:-

{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [سورة المؤمنون: 3]

نقرأ قول حضرة النبيّ عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه الميامين:-

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْـــمُتْ) الإمام البخاري رحمه الله جلّ ثناؤه.

قال وقيل، ومنازعات، ومشاجرات، هذه ليست من الإسلام، إمّا أنْ تقول خيراً أو تصمتْ، فالصمت عبادة تؤجر عليها، تؤجر على هذا الصمت، يا سعد الله، إمّا أنْ تقول خيراً، وإمّا أنْ تصمتْ.

وهذا الصمت ينبغي أنْ يُستثمر ويُعمّر بالذكر القلبي، باستحضار أنّ الله عزّ وجلّ شـــاهدي، الله جلّ وعلا ناظري، الله ســـبحانه معي، فتتهذّب النّفس، وتتزكّى، وينمو القلب، وتستثمر خيراته وبركاته.

وهكذا عندما أخذ الحبيب عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، بهذا المنهج، جاءه الإعلان عن نبوّته، ولا زِلْتُ مُصِـــرًّا على هذه الكلمة، وهذا الإعلان هو تكريم لسيّد الخلق صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الذوق، وتكريم لأمّته -نسأل الله سبحانه- أنْ يجعل هذه الأمّة رافدة، عائدة إلى منهج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم.

إذن دققوا، في هذه المرحلة في ظلّ هذه الهداية أعني: تحمَّلَ المشـــاقّ، من القيام بواجب المجاهدة للنّفس، والقيام بواجب التأمّل في كيفية إنقاذ الأمّة، هو بماذا يتأمّل؟ يتأمّل أنّه كيف ينقذ المســـجد الحرام من هذه الأوثان والأصـــنام؟ كيف ينجّي هذه الأمّة من الظلم وقطع الأرحام، فإذا كان صـــلّى الله تعالى على ذاته وصفاته وآله وصحابته قبل نبوّته مهتمّ بهذه القضية، فأنتَ يا سعد الله بعد أنْ جاءتك هدايات ما أُوحيَ لسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، فما هو واجبك؟ هل تقعد وتستأنس وترتاح فقط؟ أم يجب

عليك أنْ تمشـــي في الأرض؟ أم يجب عليك أنْ تأخذ بكلّ ما هو متاح لإنقاذ الأمّة؟ أم يجب عليك أنْ تشجّع على استثمار كلّ الطاقات الموجودة في الأمّة؟

إلى متى نسكت عن بناتنا وهنّ ملتهيات بالموضـة وليس عندهنّ أيّ هدف سوى هذه؟ إلى متى؟ وإلى أين سنصل؟ وإلى متى نسكت عن طلبتنا الغافلين عن أهدافهم العظيمة في الحياة ومنشغلين؟ هذا منشغل عنده مشاجرة مع الخادم في المسجد، أو المؤذن في المسجد، أو مشكلة مع مصلٍّ، أو لديه مشكلة في فهم فتوى، أو تطبيق فتوى! إلى متى نترك الأمور هكذا من دون انضباط؟ من دون توجيه؟ من دون تفكير؟ والتفكير من أين يأتي؟ يأتي من هذه الخلوة، ويأتي من التأمّل، فالخلوةَ، الخلوةَ، الخلوةَ يا سعد الله!

جميعنا يا إخواني، الخلوة، عودوا إلى أنفسكم في هدايات سيّدكم وحبيبكم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، اخرج إنْ كنت في منطقة زراعية، اذهب واجلس في مزرعة، وفكّر، أين أنت من هذه الهدايات يا ســـعد الله؟ ومحاسبة أنفسنا إخواني الكرام وإلزام أنفسنا بهدي خير الأنام، هذه هي صور الصدق في محبته عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، ليس محبتك للرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، أنْ تبعث مديحا أو قصيدةً لأخيك عبر وسائل التواصل! على العين والرأس، بإذن الله سبحانه فيها منافع، ولكن هنالك أصول ينبغي الحفاظ عليها، الصدق مع النفس، الصدق مع الله جلّ في علاه، الصدق مع أخيك، الصدق مع الآخر، المسارعة في إطفاء نار الفتنة، بالله عليكم يا أحبّتي، الآن أنتم جالســـون ومتشـــرّفون، وأشكركم جميعاً على الحضور، وأشكركم على معونتكم فيما بينكم، فإذا -لا قدّر

الله تعالى- حدث حريق في هذه الغرفة التي تجلســـون فيها، هل تتركونه؟ وإذا تركتموه هل هذا من الحكمة؟ هل هذا من العقل؟ أم أنّ الكلّ يقوم بإطفاء هذه النّار، طيّب لماذا تكون عندي مشـــكلة في الجامع لأكثر من ســـتة أشـــهر ولا أخمدها؟ لماذا؟ أين الصدق.

وقد حدثت معي مرّة، وهذه الأمور تحدث في كلّ احتكاك، فحدثت عندي مشـــكلة بيني وبين مؤذن المســـجد، الرّجل كان عنده عمل آخر، ويقصِّـــر بالحضـــور، وهو يعرف أنّي طالب في الكليّة، فجلســـنا واتفقنا، وقلت: يا أخي الكريم يا عزيزي، الله يرضـــى عنك -وقد توفِّيَ رحمه الله تعالى- ولا أعني حجّي صبيح، لا، حجي صبيح هذا عَلَم، وكان متطوّعًا، وإنّما مؤذّن آخر معيّن، فجلست معه، وقلت له يا أخي الكريم: أنا عندي أيّام السبت -والسبت سابقاً لم يكن عطلة في العراق- فقط الجمعة، فقلتُ له: عندي يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، يتأخّر دوامي إلى ما بعد العصر، وفي الشتاء خاصّة، فبالكاد ألحق على صـــلاة المغرب، هذه الأيّام الأربعة، أمّا الأربعاء والخميس فلا أتأخّر، أنتهي الساعة الواحدة والرّبع، وأعود، فأستطيع أنْ أصلّي العصر في الجامع، ففي هذه الأيّام التي أنا موجود فيها أنت حرّ، ولا تأتي في أيّ وقت، أمّا الأيّام التي لا أكون موجودًا فيها لا في صـــلاة الظهر، ولا في صـــلاة العصـــر فلا، ويحتمل أنْ تفوتني صـــلاة المغرب، فأرجو ألّا تترك الجامع، والجامع افتتحناه حديثًا، المسجد الذي في حيّ العدل، جامعي، فأوّل مَنْ خدمه هو أنا، لم يعيّن فيه إمَامٌ قبلي، ولا خطيبٌ قبلي، فالرجل يقصّـــر مرّة ومرّتين وثلاث وأربع، فماذا أفعل له؟ فاختلفت معه، هل أشتكي عليه في الأوقاف؟ ماذا سيقولون عنّي، إمام

مسـجد يشـتكي على مؤذنه! خجلت ولم أذهب، فماذا أفعل؟ كان عنده صـديق يجلس معه فذهبتُ إلى صديقه، وجلستُ معه، وشرحتُ له بكلّ أدب واحترام.

فإذا به يأتيني في اليوم الثاني يسـتشـيط غضـبًا! كيف تقول لفلان؟ وأنت بعمر ابني؟ - صـحيح أنّ عمري في حينها ربّما ثلاث وعشـرون عامًا، وربّما أقلّ- فقلت له: يا عمّي أنا أعتذر، أنا ما ذهبتُ لأجل أنْ أفضـحك، ولكن هذا الأمر معلوم، فالمصلّون كلهم يعلمون ذلك، ويأتون أحيانًا والجامع مغلق...

فالحمد لله رب العالمين حتّى في ذلك الوقت لم يصـل الحال إلى أنْ أشـتكي عليه في الأوقاف، أو الفرقة الحزبية التي كانت في ذلك الوقت تحكم، أو أنْ أستعدي عليه أحدَ المسؤولين الذين كانوا يملؤون الجامع، يأتون يصلّون عندي، لأنّ حيّ العدل كان فيه مسؤولون، وأساتذة، وحُكّام، بل إنّ قضاة تمييز العرق أغلبهم كانوا يعيشـون في حيّ العدل في ذلك الوقت، وكلّهم يكنّون لي الاحترام، بمجرّد إخبارهم بشيء ما، الله تعالى أعلم، ماذا سيفعلون بالرجل.

في نهاية الأمر هيأ اللهُ جلّ جلاله لنا الحاج صـبيح متطوّعًا، فقلت له (للمؤذن): الله سـبحانه أتى لنا بهذا الرجل، فخذ راحتك، هذه الأيّام الأربعة مثل الأيّام الثلاثة الباقية، فقال: معقول! قلتُ: لِمَ لا؟ فقال: تعالَ أقبّل رأسـك، قلتُ جزاك الله جلّ وعلا خيراً، لا داعي، قال: واللهِ أنا كنتُ مخطئًا، ظننتُ أنَّك تريد أذيَّتي وتمنعني من مصلحتي (عَمَلِي).

فالقصـد أحبّتي -لا أريد أنْ أطيل- المحاسـبة والخلوة، كلّ هذه نأخذها من هذه المرحلة من حياة سـيّدنا رسـول الله صـلوات ربي وسـلامه عليه وآله وصحبه، والعناية بهداية الخلق، لا تقلْ: ليس شأني، فغدًا يوم القيامة الجارُ يأتي

يأخذ بحُجزك، ويأخذك بكلّ عنفٍ إلى ربّ العالمين عزّ شأنه ويقول: يا ربّ قل لهذا لِمَ لَمْ يعلّمني، لماذا تركني أذهب في طريق النّار ولم يعلّمني، ألا تتحمّل مسؤولية؟ طيّب، إذا أصبحنا طلبة علمٍ فمسؤوليتنا صارت أكثر، وإذا شرّفنا الله سبحانه بخدمة المساجد -فليس هناك وظيفة أشرف وأقدس منها في هذا الوقت- أم أنّنا نغفل عن كلّ هذا، وتذهب كيف ما اتفق، ونفكّر فقط لعلّ فلانًا يصبح مرشدًا، ولعلّ فلانًا، أو أنا أصبح خليفة، وأنا كذا، ولِمَ هؤلاء لَمْ يعطوني أهمية؟ لماذا يحاولون إسقاطي؟ أين هذا من هذا؟!

إذن ندرس المراحل الثلاثة بهذا القصد، بقصد الإصلاح، وبقصد تنمية طاقاتنا، وبقصد القيام بواجباتنا، وبقصد رسم الهدف الحقّ والهدف الأسمى والأسنى، لماذا أقول لكم دائما وأعدّ: أنّ سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، مجدّدًا لهذا العصر؛ لأنّه كتب في المقصد الأسنى، واقرأوا في "الحريّة الجامعية" ما هو المقصد الأسنى، والهدف الأعظم من حياة المسلم؟ لابُدّ من هدف نؤمن به جميعًا، من رأس الهرم -إنْ صحّ التعبير- إلى آخر واحد فينا، وذَكَرَ -قُدِّس سرّه- المؤسسة مِنْ مدير المؤسسة، والقائم على المؤسسة إلى البوّاب أو الفرّاش، لابُدّ أنْ يكون عندهم مقصد أسنى يعملون لأجله.

فهذا هو ما رسمه لنا سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم في هذه المرحلة، رأى أنّ القومَ ضالّون، رأى أنّه لا يكفي أنْ يعمل في التجارة، فيكون صادقًا أمينًا بحيث يأتون بأموالهم وثرواتهم يستأمنوه عليها، ولا يكفي أنْ يأتي بعض النّاس يقول: إنّ حضرة النبيّ عليه الصلاة والسلام

وآله وصحبه الكرام، قد شوهد نورٌ عند ولادته، أو أنّه جاءه اثنان فشقّوا صدره الشـــريف، ومن هذه الحكايات التي يتناقلها النّاس فيما بينهم، منهم المؤمن، ومنهم المكذّب والمصدّق، فهذه كلّها لا تنفع، فماذا أصنع؟ أذهب وأتأمّل وأفكّر، وما عندي من خير أنمّيه، فكان الخير الموجود في الفطرة الســليمة، وما ورثه رسـول الله صـلّى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسـلّم في ذلك الوقت من بقايا الحنيفية، على هذه البقايا أتكئ وأقوم بواجبي.

إذن كيف أنت يا ســعد الله عندك كلّ البصـــائر؟ كلّ المعالم الحقّة، تُركْتَ على المحجة البيضـــاء، فماذا بقي لك من عذر حتّى تذهب في (هذه الطرائق) التي ذكرناها، أو ذكرنا بعضـــها حقيقة، فبعضُ النّاس يفكّر كيف يذلّ زوجته، ويكبّر المشـــكلة معها، عســـى أنْ تذهب وتتركه حتى يذهب ويتزوّج بمِنْ بنى معها علاقة محرّمة -نعوذ بالله تبارك وتعالى- أو أنّ كلّ همّه كيف يتخلّص من شريكه في العمل؟

لماذا؟ فلا داعي لكلّ هذا التوتّر، وكلّ هذا الآثام، ولا هذه الحرب، ولا كلّ هذه النيران، شـــريكك اجلس معه قلْ له: هذا لك وهذا لي، الله يرضـــى عنك، نمشـي هكذا على محبّة الله تعالى، أهلًا وسـهلاً، إنْ لم تسـتطع فهذا فراق بيني وبينك، بكلّ سلاسة، وبكلّ طيبة، وبكلّ تقدير، وبكلّ احترام.

وهكذا بقيّة المثبّطات والمعوّقات، ينبغي التغلّب عليها بالصّدق، فنسـأل الله عزّ وجلّ أنْ يجعلنا من الصـادقين من المخلِصـين، وأنْ يفتح علينا جميعًا فتوح العارفين، وأنْ يستخدمنا سبحانه في خدمة هذا الدِّيْن، وأنْ يستخدمنا فيما يشرّفنا

في هذه الدنيا ويوم يقوم النّاس لربّ العالمين، آمين، آمين، اللهمّ آمين، بجاه سيّد المرسلين، عليه الصلاة والتسليم، والقرآن العظيم، وسرّ أسرار الفاتحة.

كما ذكرتُ أحبّتي، في كلّ مرحلة أركّز على بعض المعالم، وأترك المجال لعقولكم الواعيـة وقلوبكم الـذاكرة، فـإنْ أردتّم ذكرَ أمثلـة أخرى فلا بـأس، لا للترف الفكري، وإنّما لإثراء الجانب التطبيقي، وفي اللقاء القادم بإذن الله تبارك وتعالى ننتقل إلى المرحلة الأخيرة في هذه اللقاءات، فنســـأل الله جلّ وعلا أنْ يوفقنا إنْ كان في العمر بقيّة.

وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.